﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [ق: 12 - 14]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الانتقالُ من ذكر التَّكذيب المعاصِر بالبعث إلى التَّذكير بتكذيب السّابقين

لَمّا ذكرت الآياتُ السّابقةُ تكذيبَ المشركين لرسولِ الله ﷺ؛ ناسب ذكرُ تكذيب الأقوام السّابقين؛ لتُسَلّيَه عمّا أصابه من تكذيب قومه، وللتنبيه بأنَّ حالَه كحالِ مَنْ تقدَّمه من المرسَلين، كُذِّبوا، وصَبَروا، فأهلك الله مكذِّبيهم، ونصرَهم[1].

فلمّا ذكرت الآياتُ السابقةُ أنَّ المشركين؛ كذَّبوا الرسولَ الذي اختاره الله مِن بينهم، وأرسلَه إليهم؛ لينذرَهم بالبعث والحساب، ويحَذِّرَهم من العقاب والعذاب؛ ناسب أن تُبَيِّنَ هذه الآياتُ أنَّهم ليسوا بدعًا في الضلال والتكذيب، فهُم يَسيرون على نهجِ مَنْ سبقوهم مِن المشركين، وأشهرُهم عند العرب وفي العالمين قومُ نوحٍ؛ لأنَّهم أوَّلُ قوم كذَّبوا رسولهم، وفرعونُ الذي كذَّب موسى، وقومُ لوط كذَّبوه، وهؤلاء معروفون عند أهل الكتاب؛ أمّا أصحابُ الرسِّ وعادٌ وثمودُ وأصحابُ الأيكة وقَوْمُ تُبَّعٍ؛ فهُم من العرب[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلرَّسِّ﴾: (رسس) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى ثَباتٍ، يُقالُ: رَسَّ الشَّيْءُ: ثَبَتَ، والرَّسيسُ: الثّابِتُ، وأصل الرَّسِّ: الأثر القليل الموجود في الشيء، يقال: سمعت رَسًّا من خبر، ورَسَّ الحديثُ في نفسي، ووجد رَسًّا من حُمّى، ورُسَّ الميِّتُ: دُفن وجُعل أثرًا بعد عين[3]، والمعنى المحوريُّ:

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 132.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 295.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رسّ)، والرّاغب، مفردات القرآن: (رسّ).

النَّفاذُ إلى عُمقِ الشيء أو أثنائه بقوَّة ودِقَّة، يقال: رَسَسْتُ رَسًّا: حفرت بئرًا، ورَسّوه في بئر: دَسّوه فيها، والرَّسُّ هو: كلُّ حَفْر احْتُفِرَ، كالقبر والمعدِن والبِئر، والمرادُ بأصحاب الرَّسِّ في الآية: قومٌ رَسّوا داعيَهم إلى الله في بِئْر[1]، وقيل: هم أصحاب الأخدود[2].

2) ﴿ٱلْأَيْكَةِ﴾: (أيك) أصْلٌ يدلُّ على اجْتماعِ شَجَرٍ[3]، فالأيْكَةُ غَيْضَةٌ تُنْبِتُ السِّدْرَ والأراكَ، ويُقالُ: أيْكَةٌ أيِّكَةٌ، أي: مُثمِرة[4]، وتَكونُ مِنْ ناعِمِ الشَّجَرِ، فالمعنى المحوريُّ: هو التفاف الشجر بعضه على بعض مع نعومة وخِفَّة، كالأيكة الموصوفة، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ في الآية قومُ شعيب، فقد كانوا أصْحابَ شَجَرٍ مُلْتَفٍّ[5].

3) ﴿تُبَّعٍ﴾: (تبع) أصْلٌ يدلُّ على التُّلوِّ والقَفْو، يُقالُ: تَبِعْتُ فُلانًا؛ إذا تَلَوْتَهُ، واتَّبَعْتَهُ، وأتبَعْتُهُ؛ إذا لَحِقْتَهُ[6]، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: 38]، وقوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ [الكهف: 66]، وتُبَّعٌ كانوا رؤساء، سُمّوا بذلك لاتِّباع بعضهم بعضًا في الرياسة والسياسة، وقيل: تُبَّعٌ ملِك يتبعه قومُه، والجمع التَّبابِعَة.

4) ﴿فَحَقَّ﴾: (حقق) أصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إحْكامِ الشَّيْءِ وصِحَّته، وهو نَقيضُ الباطِلِ[7]، ويقال للفعل والقول بحسب ما يجب، وبقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [يونس: 33]، وقال: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المؤمنون: 71][8]، والمراد به هنا الوجوب.

5) ﴿وَعِيدِ﴾: (وعد) أصلٌ يَدُلُّ عَلَى تَرْجيَةٍ بِقَوْلٍ، يُقالُ: وعَدْتُهُ أعِدُهُ وعْدًا، ويَكونُ ذَلِكَ بِخَيْرٍ وشَرٍّ، فأمّا الوَعيدُ؛ فَلا يَكونُ إلّا بِشَرٍّ، يُقالُ: أوْعَدْتُهُ بِكَذا[9]، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: 14]، والمراد به هنا ما وعَد الله من نصرة الرُّسُل عليهم وإهلاكِهم[10].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (رسس).
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 132.
(3) الخليل، العين: (أيك).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أيك).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي: (أيك).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (تبع).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حق).
(8) الراغب، مفردات القرآن: (حق).
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وعد) جبل، المعجم الاشتقاقي: (وعد).
(10) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 132.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تحذير المخاطَبين بذكرِ أخبار السّابقين للاعتبارِ

تهدِّد الآياتُ مشركي مكَّة ومَنْ حولها، وتحذِّرهم[1] من السَّيرِ على خُطا السابقين الذين كذَّبوا رُسُلَهم، وردّوا ما جاؤوهم به من التوحيد وإثبات البعث، حتّى لا ينزلَ بهم مثلُ ما نزل بسابقيهم من العذاب والعقاب، وتضربُ المثلَ بقومِ نوح، وأصحابِ البئر المعروفة، وثمود، وعاد، وفرعونَ وقومه، وقومِ لوط الذين كانوا إخوانَه، وقومِ تُبَّعٍ الحِميَريِّ، وتؤكِّد الآيةُ أنَّ كلَّ هؤلاء كذَّبوا الرُّسلَ فيما أُرسلوا به، وبخاصَّة أمر البعث، فنزل بهم عقابُ الله، وحقَّت عليهم كلمةُ العذاب[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصلِ الآيةِ:

التَّكذيبُ طريقُ المعاندين ومَسلَكُ المناوئين للحقِّ

جملة: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ استئنافٌ ابتدائيٌّ ناشئٌ عن قول الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾؛ إذ عقَّبَ بها النظمُ الكريم؛ لبيان أنَّ كفّارَ مكَّةَ ليسوا ببِدْعٍ في الضلال، وأنَّهم كذَّبوا كما كذَّبت أُمَمٌ مِن قَبلِهم[3]؛ تسليةً للنبيِّ ﷺ، وتحذيرًا مِن أن يَنزِلَ بهم من العذاب مثلُ ما نَزَل بسابقيهم.

غَرَضُ تقديمِ الظَّرف:

تسليةُ النَّبيِّ بذكر السنن الاجتماعيَّة بيانٌ للواقع وطَمأنَةٌ للمَآل

جيء بالظرف ﴿قَبْلَهُمْ﴾ مُقَدَّمًا على الفاعل: ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ اتِّساقًا مع قصد الآيات إلى تسلية الرَّسول ﷺ، وتخفيفِ ما أصابه بسبب تكذيب قومه، ببيان أنَّ أقوامَ الرسل الذين كانوا قبله فعلوا مع رسلهم مثلَ ما فعل قومُه من التكذيب والتشكيك، ولِلَفتِ الانتباه إلى الزمان السابقِ باستغراقه، بأن وقع فيه ما وقع في هذا الزَّمان من التَّكذيب والكفر.

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 382، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 414.
(2) حجازي، التفسير الواضح: 3/ 516.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 295.

نكتةُ إهمال حرفِ الجَرِّ:

الزمان كلُّه قبل المشركين وقع فيه التَّكذيب

أوثِر التَّعبير بالظَّرف غير مسبوق بحرف الجرِّ في قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾، ولم يقل (مِن قبلِهم): لأنَّ هؤلاءِ الأحزابَ المذكورين كانوا لقوَّتهم وكثرتهم كأنَّهم أهلُ المجد قاطبةً، وكأنَّهم قد استغرقوا الزمان المتقدِّم كلَّه كما استغرقوا المكان[1]، ففيه تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ بأنَّه لم يكن أوَّلَ من كُذِّب.

دلالةُ الإضمار:

كفّارُ مكَّةَ سائرون على خُطا المكذِّبين، صائرون إلى مصيرهم

الضميرُ المجرورُ في قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ راجعٌ إلى الكفّار الذين سبَقَ ذكرُهم في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ﴾، وأوثِر التعبير عنهم بالضَّمير دون الظاهر جريًا على الأصل في التعبير عن الاسم الذي سبق ذكره بالضمير، ولِما يفيده الضمير هنا من تحقير شأنهم والدعوة إلى عدم الاكتراث بتكذيبهم؛ لأنَّهم سائرون فيه على منوال من سبقهم ممن حقَّت عليهم كلمة العذاب، كما أنَّه لا توجد نكتة يقتضيها السياق والنظم للإظهارِ.

نكتةُ التَّعبير بالقَوم:

عبَّر النظمُ الكريم عن فاعل التكذيب بالقوم، في قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾؛ للإشارة إلى أنَّهم كانوا من القوَّة بحيث يُمكِنُهم القيام بما يريدون، وكانوا من الكثرة بحيث لا يسع الأفهامَ جميعُ أوصافهم[2].

غَرَضُ الإضافةِ إلى ﴿نُوحٍ﴾:

جاءت إضافةُ القوم إلى اسمِ نوحٍ عليه السلام، في قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾؛ لأنَّ هؤلاء المكذِّبين لم تكن لهم شهرةٌ يُعرَفون بها، على الرغم من قوَّتهم وكثرتهم[3].

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 414.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 132، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 415.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 415.

نكتةُ تقديمِ ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾:

قـومُ نـوحٍ أوّلُ المكذّبين، وعلى نهجهم سار من بعدهم

بدأ النَّظمُ الكريمُ بقوم نوح في قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾؛ لأنَّهم كانوا أوَّلَ قومٍ كذَّبوا رسولَهم[1]، ثمَّ سار على منهجهم أغلبُ الذين جاؤوا مِن بعدِهم.

سِرُّ عطفِ (أصْحابِ الرَّسِّ):

التَّقابل في نوع العذابِ بين الغرقِ والخَسْفِ

الواوُ في قول الله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾؛ لعطف ما بعدها على ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾، ووجه العطف بينهما اشتراكُهما في تكذيب النَّبيِّ المُرسَلِ إليهم، وتضادُّهما في نوع العذاب الذي أُخذوا به؛ إذ أُخِذَ قومُ نوح بالغرَق، بينما أُخِذ أصحابُ الرَّسِّ بالخَسْف[2].

سِرُّ التَّعبيرِ بأصْحابِ الرَّسِّ:

لا يُخلَّدُ ذكرُ المجرمين إلّا مقترنًا بشنيعِ فَعيلهم

جاء التَّعبيرُ بأصْحاب الرَّسِّ باعتبارِ اشتهارهم بهذا اللَّقب؛ لأنَّه ممّا قيل فيهم: إنَّهم رَسّوا من دعاهم إلى الله تعالى في بئرٍ، فأصبح لقبًا عليهم، وقيل نسبةً للموضع الذي كانوا يعيشون فيه، أو البئرِ التي حفروها، ورَسّوها[3]، فذُكِر الاسمُ الأشهر لهم، كما أنَّ قوم نوحٍ عُرفوا بنسبتهم إلى رسولهم.

نكتةُ ذكرِ اسمِ قومِ صالح:

الاسمُ الأشهَرُ هو المنادي على استحضار عذابِ أصحابه

جاء عطفُ ثمودَ على ما سبق في قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ﴾، واختار النَّظمُ اسم القبيلة دون نسبتها إلى رسولها الذي أُرسل إليها - فلم يقل: (قوم صالح) - باعتبار الاسم الأشهر في عصر التنزيل، فإنَّ شهرة الاسم هي الدّاعية إلى استحضار ما نزل بهم من عذاب، فهم يشتركون مع مَنْ ذُكِروا قبلَهم في تكذيب الأنبياء الذين أُرسِلوا إليهم، والتَّشكيكِ فيما أنذروهم به من البعث والحساب، ولأنَّ آيةَ رسولهم صالحٍ كانت

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 414.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 414، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 295.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 132.

من أعظمِ الدلالات على قدرة الله تعالى على البعث، ولأنَّ إهلاكهم كان مناسبًا لإهلاك مَنْ كانوا قبلهم[1].

وجهُ عطفِ عادٍ:

جاء عطفُ عادٍ على ثَمود في قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ﴾، ووجه العطف بينهما اشتراكُهما في تكذيب الأنبياء الذين أُرسِلوا إليهم، ولأنَّهم كانوا أقربَ الناس إلى ثمودَ في قوَّة البدن وسعَةِ المُلك، ولأنَّ إهلاكهم كان أدلَّ دليلٍ على القدرة، وأقربَ شَبَهًا بهلاك ثمود[2].

عـــادٌ أقـــربُ الأقـــوام لثمودَ في قـــوَّة البـدن وسَعة الملك

وجهُ عطفِ فرعونَ:

جاء عطف فرعون على عادٍ بالواو، في قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ﴾؛ لاشتراكه معهم في التكذيب، ولأنَّه كان الأقربَ إليهم في ضخامة الملك وسعة السلطان، والأقربَ إلى قوم نوح في الإهلاك بالغرق[3].

دلالة ذكر فِرْعَوْنَ دونَ قومِه:

عبَّر النظمُ الكريم بفرعونَ دون قومه، في قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ﴾؛ لأنَّه كان المُغْتَرَّ المُسْتَخِفَّ بقومه، المُسْتَبِدَّ بأمره، وكان قومُه تَبَعًا له في كلِّ ما يراه، ويأمرُ به، فجُعِل الاعتبار له، ولم يقل: (قوم فرعون)، كما أنَّ العذاب لم ينل قومَه جميعًا، بل نال من كان معه في البحر حين ملاحقته لموسى عليه السلام، أمّا مصر؛ فلم يُصِبها عذابُ الله تعالى كما أصاب قومَ نوحٍ وأصحابَ الرَّسِّ وثمودَ وعادًا، ولذلك ذكَرَ من وقع عليه العذاب وحدَه دون قومه، ولم يَذكُرْ جندَه باعتبارِ اللزوم، فيلزم عن ذكره ذكرُ من كان معه.

فرعونُ نموذجٌ للطّاغيةِ المُستَكْبِر الذي أصابه العذابُ ومن معه

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 415.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 415.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 132، والبقاعي، نظم الدرر: 18/ 415.

دلالةُ التَّعبير بإخوانِ لوطٍ:

أهـلُ سَـدومَ كنعانيّون، ونبيُّ الله لوطٌ عبرانيٌّ

عبَّر النظمُ عن قوم لوط بإخوانه، في قول الله تعالى: ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾، ولم يكونوا من قبيلِه؛ للإشارة إلى أنَّهم ملازمون، وهم أهل سَدوم وعَمورة وقراهما، وكان لوطٌ ﷺ ساكنًا في سَدوم، ولم يكن من أهل نسبهم؛ لأنَّ أهل سَدوم كنعانيّون، ولوطٌ عبرانيٌّ[1]، ويمكن أن يكون التَّعبير بالأخوَّة دون القوم؛ لأنَّ السياق لتكذيب من هو منهم؛ لأنَّه أدخل في التَّسلية، فقال: ﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾، أي: أصهاره الذين جبروا بينهم وبينه مع المصاهرة بالمناصرة لملوكهم ورعاياهم على من ساواهم بنفسه وعمِّه إبراهيم ﷺ ما صار كالأخوة، ومع ذلك عاملوه بما اشتقَّ من لفظ هذا الجمع من الجناية له ولأنفسهم وغيرهم[2].

وَجهُ عَطفِ أصحابِ الأيْكَةِ:

رسولا الله لوطٌ وشعيبٌ لم يكونا مِن قبيلِ مَن أُرسِلا إليهم

جيءَ بأصحابِ الأيكَةِ معطوفين على إخْوانِ لوطٍ بالواو، في قول الله تعالى: ﴿وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾؛ لاشتراكِهما في تكذيب الرَّسولَين اللَّذَين أُرسِلا إليهما، ولتقاربهما في طريقة العذاب بالنّار - فأولئك بحجارةِ الكبريت النازلة من العلوِّ، وهؤلاءِ بالنّار النازلة من ظلمة السحاب[3] - وللتَّشابُهِ في أنَّ الرسولَين المُرسلَين إليهما لم يكونا مِنْ قبيلِهما.

نكتةُ الإضافةِ إلى ﴿ٱلْأَيْكَةِ﴾:

القرآن يُسَمّي كلَّ أمَّةٍ بما امتازت به عن غيرها

عبَّر النظمُ الكريمُ في قول الله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾، عن قوم شعيبٍ ﷺ بالأصحابِ مُضافين إلى الأيكَةِ، التي تعني الشجرَ النّاعم المُلتفَّ؛ لتفرُّدهم بهذه النَّوع من الشجر دون غيرهم من

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 295.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 416.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 416.

الأمم التي ورد ذكرُها؛ إذ لم يكن يَنبُتُ في أرضٍ غيرِ أرضهم، وفي التعبير عنهم به دون (قوم شعيب) إشارةٌ إلى أنَّ شعيبًا لم يكن منهم، وإنَّما أرسله الله تعالى إليهم، وهذا ما يوَضِّحُه التعبيرُ في سورة الأعراف بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٧٦ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٧٧﴾ [الشعراء: 176 - 177]، معبِّرًا باسمه دون (أخوهم)، كما قيل عن غيره من الأنبياء والمرسَلين[1].

لطيفةُ التَّعبيرِ بالأيكة مُفرَدًا:

جاء التَّعبير ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ بإفراد الأيكة؛ إشارةً إلى أنَّها من شدَّة التفافِها كالشجرةِ الواحدةِ، ففيه تصويرٌ لحال الغابات الكثيفة، المنبئة عن الخير الوفير، والمطر الغزير، لكنَّ كُفرانَ النِّعم دَيدَنُ أهلِ النِّقم.

وجه عطف قَومِ تُبَّعٍ:

جيء بذكر قَومِ تُبَّعٍ معطوفين على مَنْ قبلهم بالواو، مع أنَّ تُبَّع لم يكن نبيًّا، وإنَّما كان ملِكًا من ملوك اليمن، أسلم، ودعا قومه للإسلام، فكذَّبوه، وفيه دلالة على أنَّ التَّكذيب لم يكن دائمًا من الأقوياء للمستضعفين، بل حصل أيضًا للملوك القاهرين[2]، وفيه من التسلية والتخفيف عن الرسول ما لا يخفى.

التَّكذيبُ بالحقِّ يكون للمستضعفين وللمُلوك الثّابتين

دلالة الإضافة إلى ﴿تُبَّعٍ﴾:

أضاف النَّظم الكريم لفظ (قوم) إلى ﴿تُبَّعٍ﴾ لمكانته فيهم، وسلطانه الذي يفرض عليهم طاعته واتِّباعه، إلّا أنَّهم كذَّبوه، فهُم قومه الذين ينتسبون إليه، ومع ذلك وقع التَّكذيب.

سِرُّ فَصلِ الجملة:

جاءت جملةُ: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ مفصولةً عن جملة: ﴿كَذَّبَتۡ

(1) السيوطي، معترك الأقران: 2/ 310.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 417.

تأكيدُ تكذيبِ الأقوامِ المذكورين لرسلهم

﴿قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾؛ لأنَّها تنزل منها منزلة التوكيد من المُؤَكَّد، ومن ثمَّ فُصِلت عنها، كما يُفصل التابع عن المتبوع فيما يُعرف بكمال الاتِّصال، الذي تقوى فيه العلاقاتُ والصِّلاتُ بين الجُمَلِ لدرجةٍ تغنيها عن الواصلِ اللفظيِّ.

دلالة استعمالِ ﴿كُلٌّ﴾ منونًا:

جميعُ المذكورين اشتركوا في التَّكذيبِ الشنيع

عبَّر النظمُ الكريمُ بلفظ الكُلِّ في قول الله تعالى: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾؛ لِما يفيده من عموم المعنى وشمولِه جميعَ الأقوام السابقِ ذكرُهم، وليؤكِّد اشتراكَهم قاطبةً في تكذيب الرسل، وجيء به منوَّنًا للتعويض عن المُضافِ إليه المحذوف، والتقدير: (كلُّ أولئك كذَّبوا رُسُلَهم فيما جاؤوهم به).

غرض تكرار فِعلِ التَّكذيب:

أعاد النظمُ التعبيرَ بفعل التكذيب ماضيًا، بعد قول الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾، فقال تعالى: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾؛ لتأكيد حصوله من كلِّ الأقوام على وجهٍ بالغِ الشَّناعة والنَّكارة[1].

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلرُّسُلَ﴾:

(أل) في ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ قد تكون للعهد، فكلُّ قومٍ مذكورٍ كذَّب رسولَه الذي أُرسِل إليهم خاصَّة، فهم كذَّبوا الرسل، وقد تكون للجنس، فكلُّ قومٍ منهم بتكذيب رسولهم كذَّبوا جميعَ الرسل، بل كانوا منكرين للرِّسالة والحشر بالكلِّيَّة[2].

دلالةُ فاءِ ﴿فَحَقَّ﴾:

الفاء في قول الله تعالى: ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ حرفُ عطف يفيد التَّسبُّبَ والتعقيب، فعقابُ الله تعالى حقَّ عليهم، ونزل بهم؛

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 382.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 132.

بسبب تكذيبهم الأنبياءَ والمرسلين الذين دعوهم إلى التوحيد، وأنذروهم بالبعث[1].

دلالة التعبير بالفعل (حَقَّ):

تعذيبُ الله تعالى المكذبين وقوعٌ يقينًا لا ارتيابَ فيه

عبَّر البيانُ القرآنيُّ عن جزاء التكذيب بالفعل (حَقَّ)، في قول الله تعالى: ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ الذي هو نقيضُ الباطلِ؛ للدلالة على أنَّ الله تعالى توعَّدَهم به، فلم يعبؤوا، بل كذَّبوا وقوعَه، فحقَّ، وصدَقَ، أي: (فحقَّ عليهم ما أوعدهم الله تعالى على التكذيب من العذاب والنكال[2]، وجيء به ماضيًا؛ للدلالة على أنَّه نزل نزولًا أكيدًا، ووقع وقوعًا لا يتطرَّق إليه شكٌّ ولا ريبٌ.

دلالةُ الإضافةِ في ﴿وَعِيدِ﴾:

تفخيم العذاب لتسلية للرسول، وزَدْع للمكذِّبين

جيء بالفاعل مضافًا إلى ضمير المُتكلِّم العائدِ إلى ربِّ العزة سبحانه، في قول الله تعالى: ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ تفخيمًا للعقاب، وتهويلًا من شأنه، وليكون التهديدُ بإمكان وقوعه لمَنْ سار على منوالهم مؤثِّرًا في المكذِّبين برسول الله، ورادعًا لهم عن الإصرار على إنكار البعث والحساب.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 417.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 297، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 339.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"